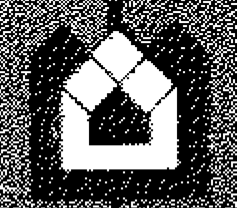


الكتاب الأول

أغنية للمساء الحزين

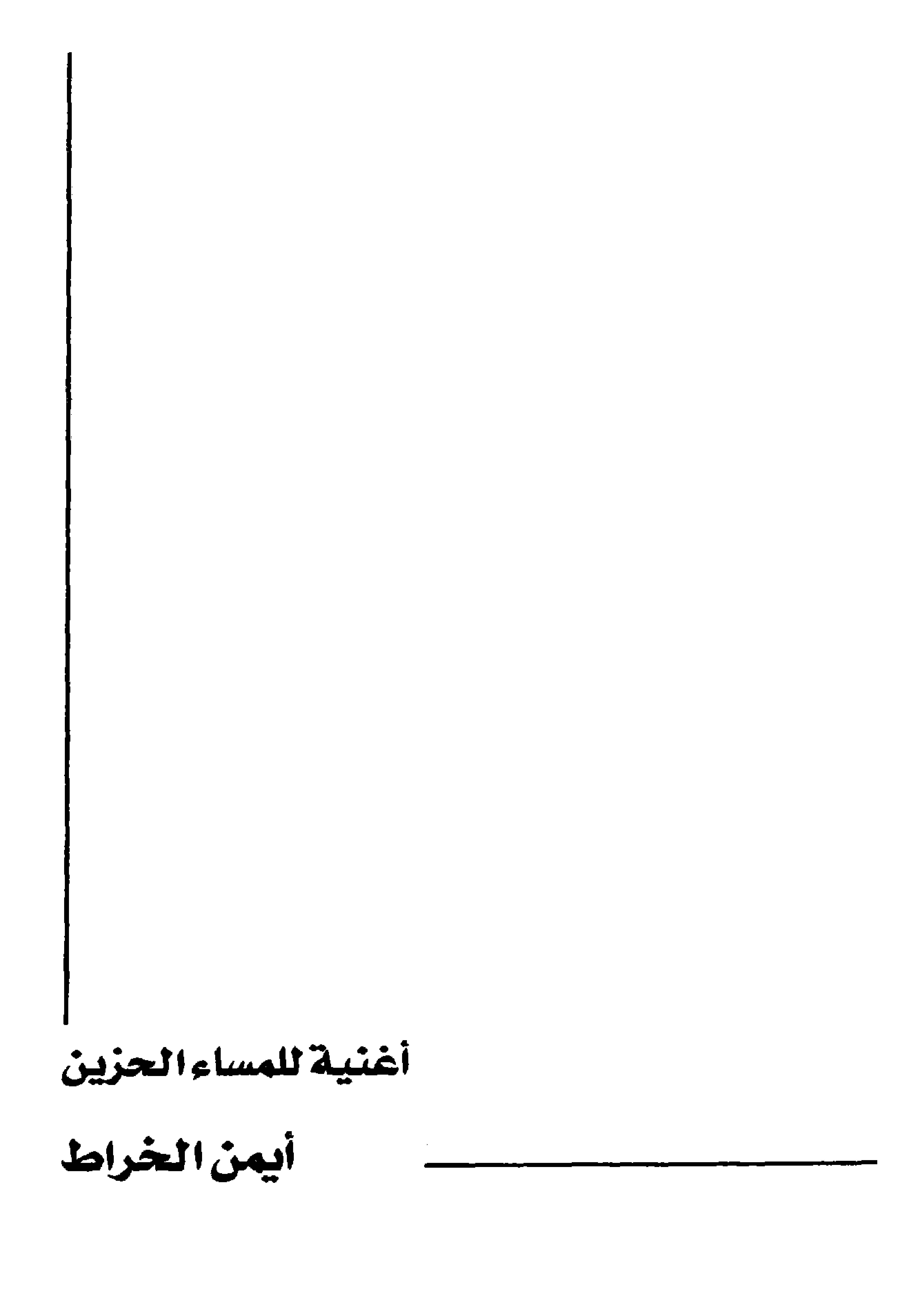
قصص

أيمن الخراط

المجلس الأعلى للثقافة

اهداءات ٢٠٠٤

المجلس الأعلى للثقافة
القاهرة



أغنية للمساء الحزين

أيمن الخراط

التصميم الأساسى للغلاف محيى الدين اللباد + أحمد اللباد
لوحة الغلاف : هشام نوار .

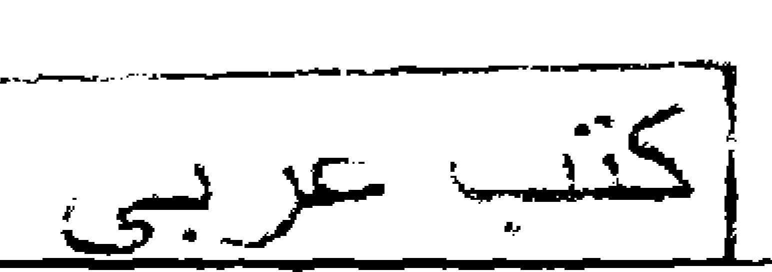
الكتاب الأول

- ٧٠ -

أغنية للمساء الحزين

قصص

أيمن الخراط





٢٠٠٣

إهداء

إلى ضياء وبهاء

أحلى ثمار العمر

أيمن الخراط

تصدير

- العالم ممل وصغير اليوم وأمس وغدا .

(بودلير)

- قف وتنحى بعيداً داخل مكانك
يا من لا يعرف السير فى الأعشاب الكثيفة .

(متون الأهرام)

- قد أغلق «العطار» يا بيرون بابه ..
بالشمع فى وجه الحزانى من قرون .
لكن سوق الحزن قائمة على قدم وساق .

(نجيب سرور)

عند نهر ما ..

صباح كأى صباح لكن حنينًا ممتزجًا بطقوسى الصباحية يدنينى بلا توقف من النهر .. فوق بقعة الأسمنت المستطيلة التى أطل منها على طيوره البيضاء . كنا متعبين .. شمس الشتاء ، البوانسيانا العارية ، السياج المخلوع الصدىء وأنا .. بعيدة كانت وبعيداً كان الصبى المداعب بقدميه سطح الماء من فوق مركب قديم .. سألت نفسى ما الذى يمكن أن يعطيه لى صباح جديد وصمتى شرنقة لحزن بلا نهاية وداخل صدرى العريض قلب كهل مقتولة فيه كل معانى الكلمات الحانية .. ؟
ردد صدى الصدر المهموم كلمات لعابرين قبلى امتلكوا قدرة التعبير . فى منتصف النهر ظلت تهبط وتعلو وتبتعد في دوائر بيضاء وفوق المركب أرخى الصبى الخيط قليلاً لمثلث ورقى أبيض أطلقه فى الهواء . رفعت رأسى محاولاً إفساح مكان فى صدرى للقادم طازجًا عبر النهر فهالنى كم السحب الداكنة العابرة فوقى .. مع قدومه الصباحى المزعج يهتز الهيكل الصلب الضخم فينفلت المثلث الورقى الأبيض من يد الصبى ويسحب قدميه من الماء ويستند على سارى المركب المهجور يتأمله وهو يبتعد ، وبينما انتظر أن يعود الصبى - الذى لم يعد - إلى مداعبة الماء مرة أخرى يحلق الطائر الوحيد الباقى من فوق السارى بعيداً نحو قرص الضوء المتوارى .. بظهور الناس ألملم بقايا عنقود القلب المنفرط وأطوى جناحى الألم .. تدريجيًا يغيب عن نظرى النهر والصبى والسارى والطائر المتلاشى على حدود الشمس التى لم تهزم بعد سحب المكان .



انكسار

حين هلت علينا بوجهها الطفولي وعينيها الواسعتين وردائها السماوى البسيط ، أدركت أن اليوم - السبت - هو موعد حضورها الأسبوعى لتسليم بعض الأعمال الكتابية التى طُلبت منها .. عندئذ رفعت رأسى من الأوراق المكومة فوق المكتب ، وتأملتها وهى حائرة تستطلع الجالسين خلف مكاتبهم .. وتبحث عن مقعد تستريح عليه . وأخيراً استقرت عيناها على الكرسى الخالى بجوارى ، ثم شقت لها طريقًا بين الأعين المبحلقة . جلست . ابتسمت لى ، بادلتها الابتسامة . وضعت أمامى ما انتهت من كتابته . تصفحته فى عجالة .. ارتفع صوت زميلى يتساءل عن مرادف لكلمة حب حتى يكمل الخانة الثالثة من المسقط الأفقى . أجبته : عشق . نظرت بجانبى وجدتها تجول فى بعينيها فانشغلت بتقليب أوراق الدوسيه الموجودة أمامى .. (حب .. ما أقساها من كلمة ، لم أعد ياسيدتى احتمل خوضها مرة ثالثة . يكفى ما خلفته فى صدرى من ألم وما تركته فى عينى المجهدتين من شجن . نعم لم أعد أحتمل . الانتظار ، اللوعة ، الشوق ، الاحتراق ، انطباعات اللقاءات السريعة ، الانتحار فى العيون الجميلة والموت على أسفلت الكورنيش ..) .

- إيه .. ما رأيك .. ؟

أفقت على صوتها . تلعثمت قليلاً . أجبت

- فى أى شئ .؟

- فى الذى كتبته

- آه عظيم . عظيم

- إذن .. ما هو المطلوب كتابته فى المرة القادمة

تحيرت . نظرت حولى أبحث عن رئيسى المباشر فى العمل كى أسأله عما يريد كتابته . وجدت نظرات الزملاء تحاصر مكتبى وتحتوى الجالسة بجوارى . ارتدت نظرتى إليها . رأيت حمرة الخجل تكسو خديها .. وأهدابها فى محاولة لتغطية عينيها من وابل النظرات المتتابعة . حاولت أن أكسر حاجز الصمت والخجل . سألتها :

- ما أخبار القطار .؟

رفعت رأسها فى بطء . أجابت

- لم يتعطل هذه المرة .

فتحت الأچندة وأخذت أقلب فى أوراقها

- خطك جميل

- شكراً

- تكتبين الكاف بطريقة جديدة لم أراها من قبل

- ورثتها عن والدى

- ماذا يعمل ؟

- موظف .

استمرت يدى فى تقليب الصفحات ، لكن عينيها لم تفارق حركة أصابعى .

- هل هذا رقم تليفونك ؟

- كلا .. إنه تليفون الجيران

أغلقت الأجندة . نقرت بأصابعى عليها ، ارتفع صوت زميلى مرة ثانية متسائلاً عن إحدى عجائب الدنيا السبع . أجبت الهرم . شكرنى .. نظرت إلىّ بإعجاب .. (لا تنظرى إلىّ هكذا ياسيدتى لا يغرنك منظرى .. ولا جمال الجاكت الأسمر والأزرار اللامعة والكرافته الحمراء .. لقد صار بناء أسرة فى هذا الزمن أصعب من بناء هرم أكبر آخر ..)

انطلق صوت الساعى بجوار أذنى

- المدير عايزك يا آنسة

نهضت تتبع الساعى إلى حجرة المدير . عادت الأعين إلى الدوسيهات والجرائد اليومية نظرت إلى حقيبتها البيضاء الصغيرة ، وجدتها بسيطة مثل صاحبتها . زرعت عيناى مرة أخرى فى الدوسيه الذى تملأ أوراقه الاستعجالات إلى الإدارة الهندسية لإصلاح الإتلافات ورأب التصدعات فى العمائر التابعة للمصلحة ، لكن الإدارة لم ترد من سنة .. سبقتها إلى أذنى دقات حذائها العائدة لمحت وجهها العائد ساهما وحين جلست أخرجت منديلها المزين بالنجوم ، وضعته على أنفها الدقيق . سألتها :

- ما الخبر ؟

- أخبرنى سيادته أن أذهب وأعود بعد مدة

- لم .؟

- البند المالى لا يسمح

كتمت غيظى وتساءلت فى نفسى بغضب : ولما يسمح البند المالى فى أمور أخرى ؟. حملت حقيبتها استأذنت فى حزن . لمحت فى عينيها وهى تغادر الحجرة سحابة لامعة سوف تمطر لا محالة ، ارتفع صوت زميلى مرة ثالثة متسائلاً عن كلمة على وزن انتصار . لم أجب فلقد كانت الكلمة واضحة على وجه من غادرت الحجرة . وإنما أمسكت القلم لكى اكتب استعجالاً جديداً إلى الإدارة الهندسية .

مجلة الكويت

١ يوليه ١٩٩٦

والعصافير

لم يكن النهار قد انتصف بعد وكوب الشاى فى يدى قد انحسر إلى القاع .. وصوت زوجتى البعيد يصلنى مطالبًا بخلع بيجامتى وارتداء أخرى حتى تلقفها فم الغسالة الكهربائية ، وإنها اليوم لابد أن تنتهى من غسل الملابس وتنظيف الشقة .. والراديو الترانزستور بجوارى على حافة الشرفة يجهر بصوت موسيقى النشرة الإخبارية ومن بعدها صوت المذيع القوى يعلن فى ثبات عن .. استمرار المعارك فى إقليم التفاح .. دخول الانتفاضة يومها الألف .. مطالبة الجماهير فى الكتلة الشرقية بإلغاء الحزب الشيوعى .. استمرار خسائر القطاع العام المصرى .. اجتماع مجلس الوزراء للمرة الألف بعد المائة لبحث مشكلة الأجور وازدياد الأسعار .. ابنة الجيران الجميلة أمامى تطعم عصفوريها الملونين فى القفص المعلق على الشرفة المواجهة بيدين رقيقتين ثم تنسحب فى هدوء بعد أن ترمى بابتسامة خفيفة ناحيتى .. وعلى امتداد البصر تقف القبة البعيدة لذكرى الشيخ الجليل مبتلة من أثر شتاء الأمس ، طلاؤها باهت وأحجارها متساقطة وهلالها حزين ، كانت النسمات الباردة تعبر من حين إلى آخر ، تجتاح بدنى فيقشعر ، ورغم شمس الشتاء التى تنتشر فى مساحات كبيرة لم يكن هناك شئ من الدفء يتسلل إلى جسدى ، كان العصفوران يقفزان من أسفل إلى أعلى والعكس ويجوبان

مساحة القفص الضيقة حائرين ورغم حبات «الدنيبه» التى وضعتها الفتاة فى الجراية الخشبية الصغيرة لكنها لم يقتربا منها وظلا يقفزان ويتحاوران ويتناغيان .. مازال صوت زوجتى يصلنى مزعجًا ومدمراً كل لحظات الصعود ، وصوت المذيع يلقى بنبأ أخير عن التفاف شعب جنوب أفريقيا حول الزعيم الأفريقى مانديلا للمطالبة بحق الحياة ، وصوت الغسالة الكهربائية المخترقة أذنى مع موسيقى النشرة يذكرنى بصوت الدبابة التى رأيتها تجوب شوارع المدينة فى أحداث الشغب الأخيرة وتزهو فوق الأسفلت بقانونها المطلق .. وما يلبث صوت فيروز يأتينى مخنوقًا من إذاعة بعيدة «شايف البحر شو كبير» .. تجاورنى زوجتى حاملة طبق الملابس المغسولة تبدأ فى رص ملابسها المبتلة .. التصق بها .. أهمس فى أذنيها هل تسمعين ..؟ هل تذكرين ..؟ تنظر إلىّ باستغراب .. تبتعد .. تقول فى تعجب «والنبى أنت فاضى» انكمش .. أشعر بضربات قلبى تتسابق إلى انتحار جماعى واللون الرمادى يظلل الصور الملونة القديمة ويصبغ الكورنيش وأوراق الشجر الأخضر ، وقلب السنديانه الصامدة فى قلب الحديقة وغروب الشمس فى يوم من أيام أغسطس بلون باهت .. كان صوت فيروز يبتعد ومؤشر الموجات لا يستطيع إعادته وزمجرة الغسالة بملابسها المتسخة تعلو .. وتعلو .. وكل المحطات تتسابق فى إذاعة نشرات الأخبار وأمامى يحط طائر البوم على قفص العصفورين ويبدأ فى مهاجمتهما وتحطيم القفص .. العصافير تصرخ وأنا .. أقف مذهولاً من هول اللحظة قدماى مسمرتان فى أرض الشرفة وأذناى مملؤتان بأخبار العالم وماء الغسالة المتسخ .. وليس فى يدى غير الراديو الترانزستور الذى لم ألبث أن وجدته مهشمًا فوق قفص العصافير المقتولة بعد أن لمحت عينى شيئًا يحلق فى السماء .

(٢)

تسرب نبأ البومة فى منتصف النهار إلى الصحافة المحلية .. وفى صباح اليوم التالى أذاعت وكالات الأنباء الخبر فى كل أنحاء العالم .. وأذاع التليفزيون المصرى فيلمًا فى برنامج عالم الحيوان عن البوم واستضاف علماء البيئة الذين أكدوا أن ظهور البومه نهاراً معجزة ويجب أن تفخر مصر بأنها حدثت فيها .. وأكد بعض المفكرين أنها ترمز لبومة الحكمة المعروفة باسم «مينرفا» .. وأكدت صحيفة الواشنطن بوست أن الكونجرس يبحث جديًا الأن صنع طائرات جديدة لها نفس مواصفات البومة النهارية لتصديرها إلى العالم الثالث .

(٣)

لم تعد ابنة الجيران تخرج إلى الشرفة .. وعلى امتداد البصر لم أعد أرى غير أحجار القبة المنهارة .. أما العصافير فقد ودعت الشرفات وأجواء المدينة بعد أن دربت السلطات الأطفال على حمل البنادق وأصدرت أوامرها بصيد العصافير فقط .

مجلة حريتى ١٩٩١/٣/١٠

مربع الأحزان

للصمت لغة الطريق وللطريق لغتي وللمدينة لغة الخوف ومنطق الشتاء وللشتاء قانون دستوره البرد والمطر والسكون .. والآن وأنا أصعد السلم الذي يفضي إلى حجرة اللقاء أحاول استجلاء سبب حضوري ، لكن عبثًا أحاول . وتظل على جدران الذاكرة علامات استفهام كبيرة منحوتة كتمائم للموتى داخل تابوت مظلم .. ألقى عليها التحية وأرتمي على مقعد ينحصر بين الضلعين .. أتأملهم متناثرين بين الأضلاع الأربعة كمسيح يستجلي أعماق حواريه في ليلة العشاء الأخير .. نعم «إنهم فتية رغم الحزن يلتقون» وفي اللقاء دائمًا نبدأ بالتوقيع على مذكرة الجوع .. ونلتهم الحزن أرغفة ساخنة ، وعندما نرتحل في الهزيع الأخير من الليل نخرج طعامنا مهضومًا في أشكال بشعة ، مبتلة ، مبتورة .. سألتهم عن آخر الأخبار .. رد الممسك بالمذياع : مازالت الأخبار غامضة ولا تروي فضولاً من الصباح وأنا أحرك المؤشر من مونت كارلو إلى صوت العرب .. ومن صوت العرب إلى صوت أمريكا ولندن .. ولا جديد غير ما هضمناه وتقيأناه بالأمس .. انكمشت .. سألني الذي بجواري عن آخر أخبارها وأحوالي ، وانهمك آخران في سماع رواية ثالث عن جندي كان يأتي كل مساء حتى يصفعه القائد على قفاه عقابًا لخطأ ارتكبه .. قلت : لا شئ ، فقط احتاج بعد أن أرفع الصخرة إلى قمة

الجبل أن أقف وأصرخ .. أبتسم . هز رأسه .. قال وهو يشعل سيجارته : ليس غريبًا أن نقتل على يد المرأة التى نعشقها . عدت برأسى إلى الوراء . تأملت السقف العارى من الطلاء والجدران المشروخة ونصف المصابيح المطفأة فى النجفة المعلقة . ابتلعت ريقى محملاً بمرارة .. وكانت رغم طول الطريق تستحلب لذة الانتظار ونشوى اللقاء وتصمت رائعة حين أقول : أمانىَّ خففى ارتفاع الموج فى جزيرتى عينيك واصدرى أوامرك إلى توربينات الضوء والألق فيهما أن تتوقف قليلاً حتى استطيع أن أحتويك .. تضحك .. وعلى ارتفاع الصخرة الكبيرة خلف الهرم الأكبر وأسفل مراكب الشمس تعطينى وقفة إيزيس .. وعند اختناق الشفق لا أملك ألا أن أتلو أناشيد الرحيل وطقوس الموت وأن أطلب من «ماعت» عدالة القيام برحلة أخرى فى زورق الحياة ... قلت : هل تعرف ..؟ فى ليلة زفافها ظللت ترقص حتى أعياها الرقص وماعا هدتها برقصة .. أخرج دخانًا مكثفًا احتوى رأسى وقال : لا تستغرب فى زمن الانفلات والانكسار والعرى تتبدل كل الصور وتبيع أوفيليا الخمر فى حانة رخيصة ، وتعرض شجرة الدر جسدها عاريًا أمام خصيان السلطان وحرافيش القلعة ، وتصبح سالومى ملكة هذا العصر .. أخيراً .. القوات المتحالفة على الأبواب ، نطق صديقنا بصوت جهورى وارتفع صوت المُذيع مردداً بأن القاهرة حذرت ستًا وعشرين مرة .. والرياض استنفذت صبرها .. ودمشق تؤيد التحالف .. ودول الخليج تطلب الحماية .. وصنعاء .. وعمان .. والخرطوم .. والرباط تناشدهم التريث فى الأمر .. وطرابلس صامتة صمت الأمواج التى تتهيج فجأة .. وبيروت لا تملك إلا انسكاب دموعها .. أما إسرائيل فتلتزم بسياسة ضبط النفس حتى الآن ..

وتشيد لمشعل النار فى المنطقة تمثالاً من الذهب فى أكبر ميادين تل أبيب ..
و .. عاد الاثنان يستفسران من الثالث .. وماذا بعد أن صفعه القائد على قفاه أربعين يومًا وليلة ..؟ ويسألنى وماذا عن ضحى ..؟ .. «وضحى والليل وماطوى» .. هل تعرف كانت تأتينى فى الفجر مثل ملائكة الليل ، تمسح جبهتى بيدها الصغيرة الحانية وتقبلنى . أحيانا تحضننى وتنام .. فى بعض الأحيان تتركنى وتجلس فوق المكتب ، تعبث فى أوراقى . تشخبط .. وتمتد خيوطها وتنثنى وتستطيل وتتربع ، وعند انبلاج الضوء تتبخر كقطرة ندى مع أول خيط للشمس .. وفى الصباح ألمح فى أوراقى فراشة وزهرة وعينين مصلوبتين على قرص شمس يغيب ورسالة تقول : «لن أعود إلا عندما يرتفع النجم القطبى فى السماء .. ويصلب كهنة المعابد السمان على بوابات قدس الأقداس ، وتنهمر دموع إيزيس من الشلال الرابع حتى أحراش الدلتا ، ويهبط السلطان من القلعة ليحصى عدد المشنوقين على أبواب المدينة الملكية .. » .. واختتم الثالث حديثه للاثنين قائلاً : ورغم أن الجندى قدم شكوى لقائد الفرقة الأعلى يطلب منه توقيع الكشف الطبى على قفاه إلا أن طلبه قوبل بالرفض .. وظل مضحكة المعسكر . فى صمت أعبث بأوراق كتاب ملقى على الأريكة وأحذره من احتراق فلتر السيجارة بين شفتيه .. أسأله : هل تعرف أخباره .. ؟ .. يجيبنى : كانت تأتى أمه تسألنى : هل ستقوم الحرب وتسكب دموعها وتمضى لكن منذ سافر لا أعرف شيئًا عنه سوى أنه يلتحف البرد مع زملائه فى الصحراء أحيانًا يرسم اسمًا لوطن أو صورة لحبيبة على الرمال .. تخيلته بقامته القصيرة وشعره المنكوش وأرائه الممتعة فى أفلاطون وهيجل وسارتر ورحلة عذابنا الطويلة مع الأوراق والكتابة والمجادلة تحت قبة الجامعة ..

.. وتذكرت لوحة «الجيرنيكا» التى تحتل أحد جدران حجرته بالكامل ، وكنت أسأله لماذا «الجيرنيكا» ..؟ فينظر إلى فى أسى ويبتسم ابتسامة خفيفة ولا .. يتكلم .. أبشروا .. ينطلق صوت زميلنا الممسك بالمذياع : لقد أصبحوا على وشك القبض عليه . ترى هل سيحاكموه كمجرم حرب مثل نورييجا ..؟

أم سيضحك عليهم وينتحر مثل هتلر وإيفا براون .. ؟ .. لكن هنا تبرز المشكلة .. من ستشاركه الانتحار ..؟ .. بلقيس .. أم قطر الندى .. أم فتاة فقيرة من الكاظمية أو كربلاء أو النجف .. ؟ .. وفى الركن ينطلق صوت أحد الثلاثة معلنا عن توافر مجموعة رائعة من الأفلام المثيرة وكذلك المكان .. ، ولكن يأسف لعدم توافر الفيديو .. ويقترح الثانى تأجيره .. ويتبرع الثالث بمهمة جمع النقود .. ويضرب ميعاداً فى مساء الغد للقاء .. وأنسحب متعللاً بطول الطريق واختفاء المعالم بعد انتصاف الليل وخوفى من السقوط فى الماء العطن أمام المنازل .. وفى الطريق الممتد من المربع للمربع يغزونى شعور بالتقزز وتغالبنى رغبة فى البكاء .. أترجل الرصيف وبجوار شبحى المرسوم على حائط أسمنتى أتقيأ وتحت مصباح خافت أترك نفسى للفيضان .

الثقافة الجديدة ، ديسمبر ١٩٩١

تأوهات

وسط الزحام المراوغ ونزيف الحزن اليومى سألت نفسى : هل كان من الضرورى القيام بهذه الزيارة التى تهرب منها منذ زمن بعيد ..؟

مدخل الشارع كئيب يذكرنى بذلك اليوم الذى تثاقلت فيه خطواتى شيئًا فشيئًا فعجزت عن التحرك ومسايرة الركب الذى سبقنى بمسافة كبيرة .

واجهة البيت باهتة والباب الخشبى الذى يتوسط حجر المدخل العالى زخارفه مطموسة ومتآكلة ... وقدماى تهبطان إلى مستوى الأرضية التى تآكلت بفعل الزمن فتحدث صوتًا تخرج على أثره إلى الصالة نصف المعتمة ، تتبع خيط النور القادم من الخارج ، تقترب منى ، تتفرسنى .. تزداد قربًا بنظرها الضعيف وجسدها الهزيل الخارج من رحلة مرض طويلة وعندما تتأكد منى تمد يدها ويخرج صوتها وهنا :

- ازيك

أحتضن الكف الصغير الذى يقودنى إلى حجرة فى أقصى اليسار من الصالة ، أضع نفسى فوق كنبة تواجه النافذة الوحيدة للحجرة ، أصافح بوجهى أثاث المكان البسيط وأعانق بعينين ينضح بهما أسى عميق صورته المعلقة فى إطار زجاجى ملون .. تشدنى التماعة العينين

والابتسامة الرائعة والوجة البرئ ... تضع زجاجة المياة الغازية أمامى وتنتحى ركنًا يبعدها عن الصورة (هناك حيث النهر والمبنى الحكومى الكئيب وصوتها وسط النسوة المحيطات به كان يبحث عن وجهه الجميل الذى أعطاه قلبه .. كان لا يشعر بالشرايين المقطوعة ولا أربطة الشاش والقطن ولا الحقن المدسوسة فى زجاجة الجلوكوز .. كان يبحث عن وجهة الجميل الذى أعطاه قلبه .. لم يشعر حين أعطيناه بعض الماء ، وحين وضعت المنديل فوق فمه لوقف النزيف ، وحين أتى ذو الوجه الباهت يعطيه قبلة الحياة ويضغط على الذى بين ضلوعه .. كان قد ...) .

لماذا يرحل البسطاء والطيبون ياخالة .؟

تنهمر الأحزان تباعًا أشعر بهشاشة الذى بين ضلوعى .. ينكسر بداخلى زمن مجنون أطارده وأحس باتساع المسافات المزروعة بالألغام .. أدرك مثله أن القضية خاسرة وأننى مازلت ملقى تحت أقدام السيدة المعصوبة العينين أصرخ بلا جدوى ، من النافذة المواجهة ينسرب خيط من ضوء الشمس إلى وجهها الصغير المتغضن فألمح فى العينين دمعة ، أمد يدى أمسحها ثم أنحنى على الرأس المربوطة بقمطة قاتمة أقبلها .. وفى الطريق أخرج الذى بين ضلوعى ، ألقيه وسط الزحام ... وبينما الأقدام تدوسه شيئًا فشيئًا يستمر بداخلى نزيف من التأوهات .

حكاية من الزمن الردئ

العام الأول ..

شط النهر فى يوم ربيعى .. أزهار وورود تترعرع فى مآقى العينين الحالمتين ..وترانيم أرغول وكمان تأتى من بعيد .. قالت : قبلك لم ينبض قلبى .. وقال : منذ الميلاد اشتهاك دمى ..

العام الثانى ..

شتاء يوم بارد .. الطريق بحيرات من دمع سماوى غزير .. فى يدها ارتعاشة وفى عينيها يمامتان تبحثان عن الدفء منذ مواسم الهجرة الأولى .. وفى صدره أتون من وله الشوق وشوق العشق .. وفى الخطوات انتصار على صقيع أزرق القلب والعينين والمشاعر .

العام الثالث ..

فى الشرفة أعطت وجهها وصدرها وضفيرتيها المفكوكتين للقمر وكان بدراً فأودعته أمانيها .. وعند المنحنى جلس فى انحناء يغنى للنهر وللوطن ولعينيها الصافيتين العميقتين .

العام الرابع ..

مرت على الضريح الذى يتوسط الحى وقدمت شمعتين ودمعتين وكلمتين .. ليكن لى .. وعلى شريطى السكة الحديد أخذ يركض ويلهث خلف القطارات المسافرة صوب المغيب .

العام الخامس ..

أعطت ظهرها للقمر .. وأعطى ظهره للنهر .

العام السادس ..

جلسوا بجوارها فى كوكبة النيون يحصون عدد الفصوص المطرز بها الأبيض ذى التاج ويحسدونها على الأسود السمين ذى الوجه المجدور .. من النافذة كان القمر يهديها دمعتين .

وفى الظلمة أنزوى يردد مع الصوت الشجى «كان لك معايا .. أجمل حكاية .. فى العمر كله .. » ويفكر من سيعطيه مفتاح الحياة مرة أخرى إذا أغلق التابوت عليه الآن .. ؟

العام السابع ..

تساءلت - بعدما رشفوا رحيقها - وهى على ضفة النهر اليابس . ودمعها الغزير يندفع فى سخونة نحو الآخاديد الظامئة .. تُرى هل ستعيده دموعى . ؟

بينما فى القوس اللازوردى البعيد كان الضريح يغنى والغروب يوقد شمعتين على شريطى السكة الحديد والنهر يعد الفلنكات ، والقمر يلهث خلف القطارات المسافرة صوب المغيب والوطن يهدى دمعتين .

مجلة (بستان الأدب)

شهر أغسطس ١٩٩٥

كان انسحاب الآخرين والطفلين فرصتى الوحيدة لمعرفة إلى أين يقذفنى الموج .. وما جدوى السفر بجناحين من شمع نحو قرص مشتعل ..؟

بجوارها وردتان وحيدتان ، ترتدى ثوبًا بلون السماء ، تغطى أسفل ساقيها بمنشفة بلون زهور الياسمين وتخبئ عينيها فى زهر البانسيه الذى يحيطنا .. وضعت الكتاب على ركبتى ، أخفضت من صوت موسيقى المسجل ، سألتها :

ماذا يشغلك .؟

حركت رأسها نحوى ، انعكس ضوء الشمس على دائرة العين الخضراء فانبسطت حدائق مترامية وحقول .. قالت :

- كنت أظنه سيجئ معنا

قلت : من .؟

أردفت : زوجى

لم أجد ما يحضن إحساس الألم سوى الكتاب أخبئ فيه حيرتى ثم أسرق نظرة إعجاب من مراهقة تبحث لقلبها عن فارس فوق مسطح

المكان ، خرجت الكلمات من بين شفتيها كأنها رصاصات تغتال حلمى :

فى بداية الزواج كانت اللهفة والقبلات وروعة الأمان فى حضنه ..

تنحسر الشمس قليلاً .. تبقى فى البقعة المضيئة .. منى يقترب الظل شيئًا فشيئًا ..

يستمر الاندفاع .. الأن كل شئ تغير ، لم أعد أراه إلا لحظات الطعام والنوم المجهد ، المكتبان والملفات والقضايا صارت كل حياته .. نجم المرافعات فى القضايا الخطيرة لكنه يأتى عندى وينطفئ .

يلفنى كل الظل .. يبقى لها شئ من بريق الشمس ..

هل تعرف .؟ كم تمنيت أن يأتى ذات مساء أعد له طعامه المفضل ، أوقد له أصابع الشمعدان القديم وأتركه يعيد اكتشاف مناطقى المهجورة .

كما أول مرة ..

فى وسط الصفحة ألوذ بكلمات لبلوك ..

مضيت بنفسى إلى نيرانك

فلتحرقينى .. ولتطعنينى

أيتها العيون المجنحة

سهام صوتها لاتزال تصوب نحو صدرى العارى من دروع الصد ..

بالأمس القريب غيرت من وضع حجرة النوم ، بسطت سجادة جديدة ، أبدلت طاقم المفارش لكنه لم يحس بأى تغيير . تابعت عيناى طائراً يعبر الأجواء دون غناء .. مع صمتها توقفت الموسيقى ، لم أجد رغبة فى تبديل وجه الشريط ، سألت نفسى هل تملك حيثيات الدفاع .؟

أم أن المرافعة لا جدوى منها أمام قاض عنيد آمن بالإدانة .

اندفع الطفلان من زوايا المسطح الأخضر نحو حضنها .. أحاطتهما بذراعيها ، طلبًا منها الذهاب نحو الأرجوحات وشلال الانزلاق ، نهضت كملكة تحاول أن تنقذ ما تبقى من مملكتها المنهارة .. برحيلها ظل المكان بلا موسيقى والورد صامتًا والعينان فوق هامات النخيل تفتش فى اللاذوردى عن نهاية .

جريدة عيون

١٩٩٣

بردية للأسى والرحيل

« قالت الروح : حينما يتحد جسمك
مع الأرض فإنى سأنزل بعد أن تستريح
لنسكن معًا »

من بردية مصرية قديمة بمتحف برلين .

وحيدان أنا وأنت والمصباح الخافت .. ساكنان ، جامدان فى منتصف المربع ، لاشئ يميزنى غير ارتفاع وهبوط القفص ، مزين الصمت صدرك بقلادة السفر .. تصلك الأصوات المختلفة حول ميقات الرحيل ومستلزمات الرحلة فتجيئنى ابتسامتك متسعة على غير العادة ويخفق فىّ الذى انشطر حزنًا حين اجتازت الصرخة الفضاء المظلم الجاثم فوق مفردات الحى كانت تشدك أيضًا فى لحظات الشرود خارج إطار الرؤية فكيف تستعجل الرحيل وتسلم جواز السفر ؟

قوانين الرحلة حتمية وعلىّ الأن أن أدعك وانسحب مع الآخرين حتى تتشبع بتراتيل الصوت الرخيم قبل التحرك .. بينى وبينك ما يزال الخيط مشدوداً لم يرتخ ، لم تقطعه الألوان القاتمة والجدران الباهتة وأصوات النشيج المتتابع فوق المستطيلات المفترشة مسطح المكان ،

ما بين المربعين ليس ببعيد لكن للوجوه المطرقة والشاخصة نحو الأسفل والأعلى والكعبة المتوسطة الإطار المذهب طعم الملح ، وأنت أمامى لم يتغير فيك غير خطوط الزمن الآسن فوق الوجه البشوش .. بينى وبينك أربعون غير أننا كنا متفقين على خطوط الرحلة وكيف نجعل من العمر لحظة واحدة نعيشها جنونًا ، انفلاتا ، احتواءً ، هربًا ، حزنًا ، لكن المهم أن نعيش .

مازال المساء حزينًا على غير العادة وقطة تنتصف سور الشرفة المظلم فى نقطة النظر .. لا شئ فى الوجوه المتتابعة يأتى بجديد ، النشيج مستمر ومستطيلات الضوء الخافت بين المربعين تملؤها ظلال باهتة تتحرك بعشوائية .. والخيط المشدود يضغط على كوامن الذى كان بينى وبينك ، وبينى وبين الليل ، وبينك وبين البحر .. اتفقت الأصوات على ضرورة انتظار القادمين مع هواء البحر لرفع حرارة التوديع وبينك وبين البحر حكايات كثيرة كنت تنقشها على صفحة قلبى فى لحظات التجلى والسفر مع دمعة السماء الملتهبة خلف سحابات الأفق .. عذابات الاختلاف بينك وبين رفيقة الطريق ، فنادق المدينة المطلة على الامتداد الأزرق ، تماثيل الميادين الباهتة الرمادية اللون ، أفيشات السينما التى كنت ترى جدارتك بأن تكون واحداً من نجومها .. كليوباترا والسوارى وذكريات الصبا بين مقابر كوم الشقافة الفنار ورحلات السفر مع سفن الثغر نحو البعيد .. «أنا هويت .. وانتهيت .. » ترددها دوما فى لحظات الحزن .. وتؤمن بأنك واحد من صيادى «سيف وانلى» المتجهين نحو شاطئ ممتد بلا نهاية .. أسألك : من أبعدك عنها .. ؟

تهز رأسك .. تبتسم في وقار يتناغم صوتك الأبى وأنت تقول بعد أن تنفث دخان سيجارتك الأجنبية .. نصيب !.

منكمشة مازالت القطة .. والصمت الشتائى طويل والقلب مفعم بالأسى وعلى جدران الذاكرة مازالت التعاليم منحوتة بلا طمس .. «الإسكندرية فى الشتاء أجمل .. النساء فى الشتاء أجمل .. صوت فيروز فى الشتاء أجمل .. العشق فى الشتاء أجمل .. الشتاء أروع الفصول والدفء في ليالي البرد هدف لمن يدمنون السفر» .. والسفر بعيد وفى الجلسة لابد من استكمال كل الإجراءات الرسمية ، مفتاح المكان ، الأسماء الرباعية للوالدين تأشيرة الطبيب ، الختم الرسمى ، قائمة الذين ينتسبون إليك .. الكل يسعى لكى تخرج الرحلة على الوجه الأكمل .. وأنت أمامى تتسع ابتسامتك حتى تحتوى الإطار المستطيل وتعربد فى الورق .. خلف الحاجز الزجاجى البارد الكلمات واضحة ، منمقة ، والختم الدائرى يشهد بصدق البيانات الواردة .. حياة حافلة ، حب ، تفانى .. أربعين عامًا بينهم .. ميكانيكا ، جنازير ، دبابات ، رمال ، هزيمة ، انتصار ، انكسار لم تستطع الانفلات منه فالقطار الذى عبر المحطات مسرعًا صار لزامًا عليه الوقوف .

الليل طويل ، وأنت قد اخترت الطابق الأسفل للانزواء ، بينك وبين رفيقة العمر والأولاد جدران من الثلج .. البقاء بدون حركة موت ، السكر يعربد فى الدم ويدمر بقية الخلايا .. الغرفة طلاؤها باهت ، تعيد الطلاء .. تعبث فى الأجهزة المعطلة الكراسى ، صنابير المياه .. تتصفح الأوراق القديمة .. نتبادل من النافذة الجرائد الرسمية وجرائد المعارضة ..

تأكل رغم نصائح الأطباء بعدم تجاوز المسموح به .. تدخن بشراهة السجائر الأجنبية .. تحتسي الشاي بكثرة في ساعات المغيب .. في الصباح يوقظني صوت المذياع القادم من حجرتك .. ترفع الصوت عندما تأتيك الكلمات مشحونة بذكريات الطريق الطويل .. «أنا هويت .. وانتهيت ..» .. في منتصف النهار يؤكد الطبيب أنك تنتحر ولابد من التنظيم ، تصر على رفض الأوامر .. أداوم على لقاءك رغم قلة الكلام ، تحيرني نظراتك الساهمة نحو السقف ، التاريخ المدون في بطاقة الشركة الاستثمارية لموعد الاختبار لفظك للطعام ، للدواء .. لكن التشخيص واضح وصريح .. «هبوط في الدورة الدموية» ..

ليل الشتاء ثقيل ولاتزال القطة تعتلي سور الشرفة المظلم ، بدء الرحلة في الصباح حتى تكتمل الصحبة .. في الخارج تشتد الريح ، يعربد البرد ، يعوى كلب شارد .. ينطفئ القنديل المعلق على أنف باب القبة التي تنتصف الحي .. يزداد حرصي على الخيط المشدود بين نافذتينا رغم الليل ووحشته .

عند انبلاج الضوء أصيخ السمع لأصوات الضحى علَ صوت مذياعك يأتيني .. لا تصل غير نهنهات النشيج المستمر ، أوقن أن ما حدث بالأمس صحيح ، أسرع كي ألقى نظرة أخيرة قبل الرحيل .

ولا عـزاء

باهتة صباحات الأيام المتكررة بلا معنى ، متشابهة خريطتها ، تضاريسها المتفاوتة ارتفاعًا وانخفاضًا . مدخل العمارة رطب دوما لعدم وصول الشمس إليه ودرجات السلم المزجج ممتلئة دائمًا بتراب الأحذية الصاعدة نحو الأدوار المختلفة ، ومصباحًا الطابقين الأول والثانى فى حالة خصام حاد مع تيار الكهرباء .. الممر طويل ومظلم إلا من لوحات النيون الخاصة بخبير الضرائب ودكتور التحاليل ومحامى الاستئناف العالى ونافذة المنور المجاور تفتح على مقلب زبالة دائم لأصحاب الأدوار العليا ..

- صباح الخير

فى آلية يرد الجميع ثم يعودوا بوجوههم الممصوصة كوجوه الأيقونات المعلقة على جدران الكنائس إلى جرائد الصباح وسندويتشات الفول الموزعة مع قطع المخلل وأكواب الماء فوق الأسطح المعدنية الصدئة ..

لحظات ثقيلة كالدهر تمر بين هبوط الفتى الجديد وعودته بطلب كل يوم الذى سرعان ما يضعه أمامى ملفوفًا فى نصف صفحة لجريدة أجنبية تتصدرها حسناء عارية حتى دائرة المنتصف الغائرة .. أسحب بصرى من فوق النتوئين البارزين وأفصل ما بين النهدين ، وعند الرأس أوزع

كل فى مكان حتى إذا ما تشوهت الملامح أودعتها سلة تجاورنى ، أتجرع كوب الماء المشبع بالكلور .. وسرعان ما يهبط كوب الشاى محدثًا تناغمًا مع السطح المعدنى ودائرة مشبعة بماء أقرب إلى الصفرة ، أداعبها بأصبعى حتى تتشعب فى خطوط رفيعة أتسلقها حتى النهاية .. «فى الطريق والقمر مخنوق بين سحابتين قاتمتين والمساء بلا طعم ألقت بحجرها الأول .. إلى متى تستمر بهذه السلبية .؟.. ستضيعك الكتب وتضيعنى .. تناثر فوق حذائى بعض رذاذ الماء المشبع بالتراب أثر عبور سيارة مسرعة واحتوتنى نسمة هواء عابرة قلت : ماذا لو كسبت العالم وخسرت نفسى .؟

- ما تقوله هراء .. المسيح مضى وتعاليم بوذا وكونفوشيوس علاها التراب فى متاحف الثقافة المعلم الأول هو المال ..!

يشتد الخلاف ، تمضى غاضبة .. تذوب فى زحام الميدان .. أقف وحيداً لا أدرى ما أنا فاعله فالبحر متلاطم الأمواج والشط بعيد والسفن الغارقة بلا عدد والسفينة وحيدة والملاح لا يملك إلا حرفة التأمل فى اللامتناهى والسباحة فى اللازوردى .. فكيف العبور دونما بلل . ؟» .

ملامح المدير العابسة تحطم حاجز الصمت وتلقى بالخبر :

- والدة زميلكم الجديد توفيت والجنازة فى العاشرة .

انسحب وخلفه جوقة الإنشاد اليومى من حملة المباخر .. باختفائه كثرت الهمهمات ، خرجت بعض الأيدى بالنقود لإرسال التلغرافات ، حسمت الأمر واخترت النزول فالزميل صديق قديم والأم الراحلة كانت نهر

عطاء يسير على قدمين .. ألهبتنا دوما بحب الحكمة وأهدتنا مفاتيح للطريق الطويل .

شمس الصيف قطعة من جهنم وزحام الميدان بلا نهاية ، ونشوة الضياع فى الزحام خطيرة حين نصير بلا ثمن ويتوه الجوهر تحت ركام الصدر المعلول بأوبئة العصر .. فى آخر مرة صرخت بى : لن تجدنى بجوارك ذات يوم ، لن تغير وجه هذا العالم الدميم فنحن جزء من هذه الدمامة .. أفق .. الشقة بلا تشطيبات وتاجر الأثاث لن يقنع بنصف الثمن وأنت لا تسعى للحصول على تأشيرة .. والسنوات تمر بلا عدد .. » .

العرق غزير والمنديل صار متسخًا أكثر من اللازم .. العين مجهدة بمفردات الميدان المزدحم .. «سوبر ماركت فلسطين» .. «الحلوه دى من الغربية» .. «نجمة بيروت» .. إشارة المرور مغلقة والمنزل فى نهاية التقاطع ، أتجاور مع عسكرى المرور المشغول بمؤخرة حسناء تعبر الإشارة .. من تسجيل التاكسى المجاور يندفع كشلال اتعبته الحواجز ووجد منخفضه فجأة .. «رفضك يا زمانى .. يا أوانى .. يا مكانى .. أنا عايز أعيش فى كوكب تانى» .. ابتسم فى ألم ، تختفى الحسناء ، ينطلق التاكسى حاملاً بقايا الحلم .. أجرجر قدمى نحو الجمع الغفير .. أعانق فيه الحنان والأمل الراحل .. أسأله :

- كيف طاوعها قلبها أن تتخلى عنا فى هذا الوقت .؟

يرد ماسحًا دمعتين انحدرتا من حدقتين مملؤتين حزنًا :

- كان أول ما توقف .؟

فى الطريق نحو المقر الأخير كان التنبيه واضحًا .. أيها السادة الأمر مقصور على التشييع ولا عزاء .

مجلة «القصة»

١٩٩٣

أغنية للمساء الحزين

الدائرة مكتملة .. والمكان ليس فيه شيءٌ مختلفٌ عن الأمس ؛ فالكراسى مرصوصة بانتظام مصابيح النيون تعانق أفرع الشجر اليابسة. الليل يفترش النهر ، الكوبرى البعيد لا يظهر منه فى الغبش المسائى غير المصابيح المضيئة للسيارات العابرة ، القرص المضئ متشح بغلالة ضبابية ومصلوب على أفرع البوانسيانا العارية التى تعتلينا .. النزيف مستمر منذ أن عرفت أقدامنا مقهى «المهاجرين»(*) .. لكن إحساس الليلة مختلف ، فالخبز مبلل بالدموع والأغنيات حزينة وصندوق الذكريات ملئ بتذكارات الألم المشترك .. الرحيل جماعى ، المشوار طويل والوداع طائر المسافات البعيدة يحلق داخل قبة الليل التى تحتوينا . صوت السماعات المعتلية جذوع الأشجار ينساب داخل الأذن المشوشة «أنا وحبيبى يانيل نلنا أمانينا » .. وجه العائد من حرب التحرير ما يزال شاحبًا مشربًا بصفرة ، رغم المحاولات فشلنا فى تفسير النظرة الرانية نحو البعيد .. أحدنا اكتفى بزرع وجهه فى الجريدة المسائية وقراءة العناوين بصوت مسموع .. الآخران انهمكا فى تحديد كل النقاط

(*) سُمى المقهى بذلك لهجرة أصحابه من إحدى مدن القناة أيام حرب ١٩٧٣

المطلوبة لرحلة السفر البعيد .. الذى بجانبى اختار التونباك وتبغ التفاح واخترت النهر .. «والنهر وليالى القهر والعمر إذ يمر» .. فى منتصف الدائرة استفسر منه بحجة أنه حظى بشرف السفر والعودة ، عن التصرف اللائق عند ركوب الطائرة وتعلل بأنه لم يسبق له السفر إلى أبعد من العاصمة لرؤية الهرم وأنف أبى الهول وبعض الشواطئ للاصطياف ، وأن العقد الخاص بالتدريس فى الأرض المحررة أنقذه من حالة العقم التى يعيشها مع الخطيبة من أجل مستطيلات الأسمنت المسلح .

- أربعة ملايين كلب مشرد بشوارع العاصمة .. مانشيت عريض بصدر الصفحة الأولى .. طلب المجاور لى مزيداً من تبغ التفاح ، وبينما وجهى يتمرغ فى بقعة النهر البعيدة المنعكسة عليها أضواء احتفال عرسى فى الكازينو المقابل ، سألنى : كيف قابلتك ..؟ ابتسمت فى أسى ، قلت : مضت دون أن تصافحنى .. انحنى يزيد من اشتعال الحجر وعدت أمرغ وجهى .. (عندما مسحت عينى امتداد الكورنيش واطمأنت إلى أن كل الجالسين على المقاعد الأسمنتية ينتمون إلى المملكة الوردية بالولاء والطاعة ، عادت تسبح فى البحيرة الربيعية .. زادت من ضغط أصابعها ومررت الأخرى المرتعشة فى خصلات الشعر وقالت : قل لى شعراً .. قلت : ما أنا بشاعر .. قالت : إذن ارسم لى صورة فى أول صفحة من كتاب التاريخ .. قلت : ما أنا برسام .. قالت : إذن غنى .. قلت : صوتى ليس جميلاً .. قالت : لا يهم .. قلت : ماذا أغنى ؟ قالت : أنا وحبيبى يا نيل نلنا أمانينا ..) .

- ما السبب وراء كثرة الشحاذين فى شوارع المدن ..؟ ريبورتاج بالصور الملونة :.. عاد يسألنى بعد الإفراج عن خيمة دخان بددها تيار من هواء النهر : من كان أحق بالقتل .. أزوريس أم ست ..؟.. انتشلت عينى من ورد النيل السابح مع التيار ، قلت التاريخ يؤكد أن هناك قاتل وهناك مقتول ، لكنها حملت بالمستقبل حين جمعت الأجزاء واحتضنت الشجرة المقدسة وبللتها بالدموع ففاض النهر .. هز رأسه ، تابع حركة العابرين من ضفة إلى أخرى . فردت ساقى المتعبتين من الوقوف طوال النهار على أيدى عمال الحفر وهم ينقبون عن كنوز التل المجاور لمدافن القرية .. تابعت عينى قاربًا صغيراً يغيب عند المنحنى ..

- أسرار جديدة من ملفات حرب التحرير .. خبر عن التايمز ..

فى استفسار جانبى لصديقنا العائد عن حجم خسائر الطرف المعادى من المعدات والأفراد رد عليه مبتسمًا فى حزن : نحن الخاسرون .. «لما أكدت له أن الحفر فى هذه المنطقة بلا جدوى وأننا لسنا باحتياج لهذا العدد القادم مع البطاقات الأنيقة والذى يستنزف الميزانية المقررة بلا عمل .. رد باقتضاب : أنا المتصرف الوحيد والمسئول الوحيد ، وهددنى بمذكرة تفصيلية للمدير العام تؤكد عدم كفاءتى وتطالب بقطع الحافز الشهرى للإهمال وعدم مراعاة صالح العمل» .. أخذ يؤكد له أنه لن يجد مشقة فى الحصول على رقم المقعد أو فى حمل الأمتعة عند الهبوط طالما أن الخطوط أجنبية .. بجوارى أراح المبسم المخروط على الحلقة المعدنية وسألنى عن هوية الذين شيدوا الكوبرى .. وهل هم إنجليز أم فرنسيين ..؟ .. احتوت عينى آخر قطار مسائى يعبره فى صخب ..

قلت : كل الذى أعرفه أن الأيدى كانت مصرية وأن عمره الافتراضى انتهى وأننا بحاجة لكوبرى جديد وإلا ستحدث كارثة .

– ممثلة مشهورة غير متزوجة تسقط مغشيًا عليها داخل البلاتوه من أثر الحمل ... سألته : كيف تعاملتم مع أعداد الأسرى الضخم الذى شاهدناه على شاشات التلفاز ..؟

استدار بوجهه نحو النهر وقال : ألم تروا ..؟!

فى منتصف النهر جاور اللنش الجديد المركب الشراعى وجاوزه .. قال الذى بجوارى : اللنش عملى وأسرع .. قلت المركب أجمل لمن يعشقون النهر .. «فى آخر اللقاء وأوراق الشجر ترجف تحت ريح الخريف والنهر بلا لون ، أكدت لها أن المرتب هزيل والمدينة يلفها الكساد والرحيل نحو العاصمة يتطلب منا أن نعبر البحر الذى بلا حدود .. قالت وهى تشيح ! بوجهها نحو «زلمكة» تعبر الطريق : كل الناس تسافر لست أولهم ولا آخرهم ..» غير الحجر . أكد أن الحل فى غزو العاصمة وأنه لن يترك الساحة لهؤلاء المدعين من أنصاف المواهب «يبرطعوا» فيها بلا رادع ، وأنه قد أوصى على حجرة فى الطرف المقابل للقلعة وأقسم العائد أن الحل خارج حدود الوطن والناطقين بنفس اللغة وأنه قد ترجم شهادات المراحل المختلفة استعداداً للحظة الانطلاق .. «انفعلتُ وأقسمت لها أننى لا أستطيع ، الحمل ثقيل ورضوى وريم لن تجدا بعد أمهمًا المسافرة خارج حدود الوطن غيرى مع جدتهما .. ونهضت وأكدت أنها لن تستطيع الانتظار أكثر من ذلك ، وأن الطوابير ممتدة خلف باب الشقة تنتظر فقط إشارة ..» ..

- الأطباء يؤكدون أن سبب الدوخة هى التهاب العصب الثامن وفقر الدم ..

فى داخلى أؤكد أنه فقر الفقر .. يزداد النزيف .. احتويهم .. الوجوه باهتة شاخصة نحو اللا ممكن، الأرجل ممتدة نحو النهر بلا مبالاة ، العيون مصلوبة على آخر مركب شراعى يغيب فى الغبش الضبابى الكثيف متجهًا نحو الضفة الأخرى .. الصديق يلقى بخبر أخير عن العثور على مقبرة جماعية لخدام الملك الإله بجوار أحد الأهرامات .. أستاذنهم نافضًا عنى غبار الرحلة المسائية ، مؤكداً لهم أن الغد سيكون حاراً على كافة الأنحاء وأن ليلنا مازال ممتداً لكن المخابز تغلق مبكراً ، والصغيرتان وأمى لا يغلقن عيونهن إلا إذا شاهدن الأرغفة فى يدى لعمل سندوتشات الصباح .. فى الطريق استمر الصوت منسابًا بلا توقف مردداً «أنا وحبيبى يا نيل نلنا أمانينًا» .

مجلة الشاهد

١٩٩٤

أمنية

فوق بقعة ظل كونتها أفرع بوانسيانا عارية من الأزهار وقفت وردة تحمل من العمر عشرين عامًا ومن الفل عشرين طوقًا ومن الياسمين عشرين أسواراً .. فى يديها خاتمان رخيصان ، وفى أذنيها عنقودان من العنب البلاستيكى وخلف الرأس ضفيرة من ليل بلا قمر .. فى القدمين شبشب قديم ، وفوق الجسم فستان قديم ، وفى العينين البنيتين الرانيتين نحو بوابة الشمس التى خلفها يمارسن البنات طقوس الحب الأول أمنية .. أن تقول بنت فى عمرها للذى سوف يتأبط ذراعها ويرافقها ويخش بها نحو الداخل كما قالت هى منذ لحظات للداخلين :

- فل يا بيه علشان الهانم ...

- فل يا بيه عشان الفل .

جريدة الأهرام المسائى

١٩٩٤

زهور الياسمين

حين اندفعت إلى منتصف الأتوبيس ضمن كتلة بشرية قاست من الانتظار الطويل تحت شمس أغسطس ، كان أنفى ما يزال محملاً برائحة البول العفن ومخلفات العابرين أسفل الكوبرى وبقرار المدير العام المجحف باستمرارى خارج خطة العمل الرسمية للعام الجديد والعتاب الرقيق المحتوى بداخله إنذاراً من العيون الجميلة بأن الأمر لا يمكن استمراره على هذا الحال ، وأن البيت يرغب فى خطوة حاسمة وجادة وإلا ... «قالت أمى مراراً أن جيوبى الأنفية ملتهبة والأمر يحتاج إلى طبيب وقلت لنفسى دومًا الموضوع أكبر من ذلك والأنف حساس أكثر من اللازم» لم أهتم والأتوبيس يتحرك بمعرفة فى أى مكان ذهبت بقية أعضائى ، لكنى تأكدت بأن رأسى ماتزال تحتفظ بمكانها .. ما أقسى أن تصبح ألفًا مدموجًا فى سطر من كلمات غير مفهومة .؟ وجهى المغسول كبقية الوجوه بعرق الانتظار والاندفاع والالتحام والالتصاق يتمرغ فى حقل عباد شمس على الطريق .. «منذ متى لم تعرف يداك ملمس الزهور» .؟

فى منتصف الطريق يندفع مزيد من الركاب ، ويعتلى الكمسرى مقاعد الجالسين حتى يتمكن من استكمال ثمن الرحلة ، خلفى يحاول القادم الجديد شق طريقه إلى المنتصف فترتفع زهور الياسمين فى

يـد الطفلة التى يحملها .. «كنت دوما أعطيها حرية اختيار الاسم لكنى احـتـفظت بداخلى بحلم أن يكون لى طفلة عـيـونهـا بلون الربيع» .. الفسـتـان قصيـر محلى قطع الدانتيـل الشفافة ولـون الطفلة فى لون زهور الياسمين البيضـاء ، فى المقعـد المقابل تتطوع السـيدة البدينة بحـمل الطفلة على ركبتيـها ، حاول أن يعبر بها من فـوق الرؤوس فسقطت من يدها الباقة الصغيرة ، وبينما السيدة تحتويها بين ذراعيها تنطلق عيونها المستـعيرة لون البـحر فى حيـرة تفتش عن زهورها .. «حـينمـا علقت فى رقبتها طوق الفل عند النهر قالت : يعجبنى فيك أنك تعرف متى توقظ فى الأنثى أروع مشاعرها ..».

فى صعـوبة انحنيت ، ومن بين الأقـدام صـعدت كـفى قـابضـة على بعض وريقـات ممزقـة حين فـردتهـا أمـام عـينهـا أضطرب البـحر والتـصقت بنافذة الأتوبيس تبكى ، ولمـا فتـحت السـيدة النافذة من شدة الحر وضيق الأنفس تبعثرت الوريقات وأندفع نصـفهـا خارج الجسـد الصلب المنطلق فوق الأسفلت بلا هوادة ، ورغم اجتـهادى فى تمـيـز هذا السـائل السـاقط من أعلى الوجه على وريقة التصقت بصدر القميص إلا أننى فشلت .

جريدة المساء

١٩٩١

دمعتان فوق شفاه الموناليزا

لمساء المدينة نكهة التوغل فى دوائر الماء البعيدة . للضجيج وللمصابيح الفوسفورية أغنيتان قديمتان يتساقطان نغمًا ممزقًا على صفحة القلب .. فى استعجال الخطى لعبور الإشارة المغلقة .. ينشطر الذى كان يعرف روعة الحزن فى الغناء .. أمام العطور وزهور القرنفل وعيون البائعة الحسناء أقدم قرابينى وأرتل صلوانى من خلف الحاجز البارد المضاء بالنيون .. «دائمًا فى المنتصف بينى وبين الذى أمامى» .. فى إنحراف أقدامى إلى الممر الضيق تتعلق دائرتاى الضيقتان بالأقراط اللامعة .. قلبان ، نجمتان ، قمران .. تصعدان نحو الأعلى .. تنصلبان على العينين ، الشفتين ، الأصابع البضة .. «منذ زمن وأنا أبحث عنها ، طالت المسافات بيننا كثيراً لكننا أخيراً تقابلنا» .. كان الشبه كبيراً رغم اختلاف الجلباب وبعض التفاصيل الصغيرة ، لكن التوحد بيننا كان أمراً ضروريًا .

«فى المساحات الخضراء خلف السياجات الدائرية علمتنى روعة الصمت .. وعلمتها الغناء فى المستطيلات الضيقة وفى التكدس وقت الذروة منحتنى دفء الاحتواء .. ومنحتها نخاعى فى المربعات الملونة ألبستها ثوب الطهر .. وخيرتنى بين لونين قاتمين أفتحهما أسود .. فى النهاية دربتنى كيف أتلو طقوس الموت قبل الإقدام على غرس الخنجر أو القفز إلى قاع حابى» .

آه .. وأمام النهر طال الانتظار وطال .. كيف أمتص من شفتيك رحيق الانتحار .. ؟

ضاق المكان واكتظ الممر بالقادمين لمداعبة المساء بالشراء ، أشار البائع بأصبعه إلى أعلى حيث كانت .. سألته : كم الثمن ؟ قال بالذى لم أكن أستطعه ..

فى الأزمات علمت قدمى كيفية الانسحاب البطئ ، لكنهما عاجزتان الآن عن التحرك لم ينتظر البائع كثيراً بل أزاحنى إلى حائط خلفى .. قبل الرحيل كان شيئًا يعبر الشفاه ويتساقط من أعلى المكان على أرضية الممر .

الأهرام المسائى

١٩٩٢

أغنية لم تتم

حين سبقتها بقجتها إلى الركن المظلم واهتزت العربة لصعودها ، تنحنح الحصان الهزيل وهبط برأسه يتشمم طين الأرض التى لم تجف بعد بينما أطل وجهه فى استخذاء من وراء فتحة الشيش الباهت يشهد رحيلها بعد أن صدمها برأيه فى بقاءها عنده طوال المدة الفائتة .

والعربة تتحرك من ظلمة المكان نحو نور الطريق البعيد تركن جانب وجهها الأيمن على الجلد البارد للغطاء المربع .. تأملت السائق وهو يرفع سوطه ويهبط به على رأس الحصان فتذكرت جمل الأيام الراحل منذ سنوات ثلاثة وتحسرت على خيبة أملها فى حصاد البطن المترهلة .. عند منحنى الطريق باغتها النور فبانت تجويفات الوجه المتغضن لامعة مخضلة ؛ رفعت كفها تزيل غشاوة العينين عندما حاذت العربة الجدار الخلفى للمسجد الذى صنع نوافذه منذ خمسين عامًا وأطلت بوجهها تتشمم رائحة الطريق الذى ازداد هوائه وزاد نوره بانقشاع غيمة كانت تظلل قمر منتصف الشهر .. مع امتلاء العربة بالنسيم الخريفى عادت برأسها وسندتها على ظهر العربة وترنمت شفتاها ودندنت «يامسافر وحدك وفايتنى ...» والعربة ماتزال تشق طريقها نحو آخر المدينة كان صوتها يخفت شيئًا فشيئًا وإن ظلت فى العين دمعة وعلى الشفتين ابتسامة .

جريدة الأهرام المسائى

١٩٩٥

بلا رتوش

شئ مقيت أن تظل تمثالاً فى زاوية متحف لا يزوره أحد ، لم تعد تستهوينى وجوه المكان أكسبتها الأيام جموداً وآلية .. فى الصباح أنزوى خلف المكتب الإيديال الصدئ ، أعبث فى أوراقى القليلة ، أدون ملاحظاتى حول ما تحتاجه المبانى القديمة من الترميم ، اكتب استعجالاً جديداً إلى الإدارة الهندسية التى لا ترد ، أقلب صفحات كتاب قديم ثم أغلقه أوزع الابتسامات فى آلية إلى الوجوه الباهتة الملامح ، أخرج ورقة أدون فيها أسماء وبلاداً لا أعرفها .. ارسم خطوط السير اليومية التى لا تتغير والتى تبدأ دومًا مع التوقيع فى دفتر الانصراف .. فى الطريق تصفعنى دائمًا وجوه متعبة مثلى ، نتبادل نظرات استغراب وضيق وعند المنحنى أمسح بعين ممتلئة بغبار الطريق الكتب المفترشة الرصيف أو أسأل البائع عن مجلات لا يعرفها إلا أمثالى .. على محطة الأتوبيس يبحث الجرح عن السكين ، يصافحنى الوجه الملائكى بعينين متسائلتين عن نهاية النظر وتزيد سندريلا الطب مساحات جديدة للوجع فى الذى حسبته قد مات منذ رحيل فتاة النهر الأولى مع ازدياد الخطوط تتضح خريطة الحزن اليومى بلا رتوش . مع أول الخطى نحو المنزل سترسم عيون جارتى الحسناء المسافر زوجها منذ زمن ألف علامة استفهام مشتعلة جديدة بداخلى ، وسيأتينى صوت الأم الحائرة مع أولاد

الأخت المسافرة خارج الوطن محذرة إياهم بأنها لن تقبل وجودهم فى العام القادم رغم أنها تقول ذلك منذ أعوام .. وستعاندنى رنا وتضحك وهى تتوارى بعد أن تقول بإننى لن أحصل على نوبل مثل نجيب محفوظ .. وستصلنى خلف المكتب المكدس بالكتب بلعنات الأب الساخط على أكشاك الخبز وأيام الزمن الأسود ، وفى المساء ستتخذ خطواتى طريقها نحو النهر ، سأحط مثل مالك الحزين على ضفاف الوجوه اليابسة ، سترنو عيناى إلى الكوبرى القديم والنجوم المتعبة على صدر السماء وعشاق الكورنيش وراكبات معدية «العسال» سنثرثر فى تراخي وشرود ونلتف حول نفس المائدة ونفس الطبق ونختلف .. شامير وجورباتشوف والأخطبوط الأمريكى والدورة الأفريقية .. ليلى علوى ومادونا وفالكون كريست ومع انتصاف الليل ودورية العربة الزرقاء سنفترق حثيثا متجهين إلى غرف التطهير الليلية ... خارج المبنى الشمس بلا ساتر والأسفلت الأسود صهده على الأحذية المنطفئة .. ورغم الرغبة فى التغيير إلا أن الزحام الشديد يفرض على قدمى خطوط السير وأمامى كانت خريطة كل يوم واضحة بلا رتوش .

المساء

١٩٩٢

الشمس فى عيون مريم

صباح لزج على رصيف المحطة يباغت الوجوه الطرية فيكسبها احمرار الشمس التى تسكب صهدها على زوايا المكان .. تتباطأ قدمى فى طريقها المعتاد نحو المنتصف .. من بعيد ألمحها تعيد رص المجلات وتفصل قليلاً بين أكوام الجرائد الصباحية ، أواجهها فتصير الشمس فى ظهرى وأحجب عن وجهها الدائرى صهد الضوء .. ترتفع بعينيها العسليتين نحوى فتفيض براءة الأعوام العشرة تغسل سنوات العمر المجهده وترطب القلب .. تنحسر ابتسامتها حين أسألها :

- أخبار بابا إيه

ترد فى انكسار طفولى :

- مافيش فايدة

ابتلع ريقى الناشف ، تهبط بعينيها على صورة طفلة بوسنيه مقتولة بيد الصرب فى الصفحة الأولى ، تسألنى ودمعة تراود عسل الشمس الصافى : ليه الناس وحشه يا أستاذ .؟

تنكسر عيناى نحو بلاطات الرصيف المشروخة وينغرس السؤال فى حشاى كحربة من البرونز المشتعل .. بجوارها يطول الانتظار فيصعد

فوق صفحة القلب بالوجه الرطب الندى والتاج الفضى فوق الرأس ولون البحر فى عينيه المتعبتين ، الراحل منهما النور شيئًا فشيئًا .. ولا حل فالمبلغ كبير والطبيب المشهور أكبر من مواعيد الانتظار وسيراميك العيادات الأنيقة أغلى من العيون .. وعلى المحطة كل صباح ينسرب النور مع الجرائد الرسمية وجرائد المعارضة ومجلات الأدب والفن وكتب الأطفال وملاحق الثانوية العامة حتى تسكن زرقة البحر وينطفئ ضوء الفنار .

مع وصوله فوق الرصيف تنزلق النقود الفضية من يدى نحو مقدمة الدكة الخشبية فى أسى وترتفع يدى بجريدة مانشيتها الرئيسى إنتقال لاعب إلى النادى الأحمر بمليون جنيه ، قبل الرحيل كانت مريم تسحب بصرها المصلوب من فوق طفلتين يحملان البالونات الملونة ولعب البحر والرمال .. تفرد ساقيها الهزيلتين أسفل الدكة وعلى دعامة حجرية حجرية خلفها تخبئ ضفيرتها وتعطى للشمس عيونها العسلية .

الأهرام المسائى

١٩٩٥

الشرخ

المساء ورقة جديدة تسقط من شجرة ديسمبر . الجو بارد ومصابيح المدينة الفسفورية تنتصب كتماثيل عهد بائد يلفها غبش مسائي خفيف .. أمام منزله لم يمهلوني فرصة السؤال وأشاروا بالصعود . تحتويني الغرفة. محتوياتها لم تتغير منذ عرفتها كنبتان ، مقعد انتريه ، كرسي صالون أكد لي مراراً أنه من قبل ولادته ، ترابيزة صغيرة مصابة أرجلها بلين الخشب . بمجرد الدخول أوصى على الشاي واندس تحت الغطاء ، سألني عن أخبار الجو .. قلت : لا شئ غير البرد . عبث في شرائط الكاسيت المجاورة للمسجل ، خيرني بين علي الحجار وحسن الأسمر . فضلت الصمت . أشعل سيجارة ، نفث دخانها . حدثته عن غادتي .. حدثني عن أميرته .. طلب مني احتساء الشاي قبل أن يبرد .. أخبرته أن العمر يجري وأننا بحاجة إلى مصب لنهر الحزن المتوغل فينا .. قال : المجد للألم تنفست صمتي ، حدقت في جدران الحجرة سألته ما سبب الشرخ ..؟ قال : البيت قديم ويحتاج إلى الترميم . تذكرت مضايقات العمل ومتاعب السفر اليومي وحسناوات شارع البحر احتضنت ألمي .. ظل رغم الغطاء يشكو البرد ويشعل مزيداً من التبغ ، اجتاحته رغبة في سماع صوت الثاني .. اخترت الرحيل .. سألني السهرة مع من ..؟ قلت : بالأمس كانت مع رواد مدرسة الغضب أما الليلة فلا أدري ..؟ .. انساب الصوت مردداً يا اا .. عمري ..

انسحبت .

فى الطريق فشلت ملابسى الثقيلة فى صد الغزو الجوى فامتزجنا . بدأ الأسفلت يلمع برذاذ المطر فازدادت سرعة قدمى .. الطريق طويل والطوق الديسمبرى البارد يلف الرأس . الرذاذ يداعب العينين والأنف المتعب والذهن يجتهد فى الخروج بنتيجة نهائية من معادلة امتزاج الأسفلت والمطر ويفتش عن معنى آخى بين الصمت والانفجار .

على بعد خطوات من المنزل المطفأ المصابيح يعلن الذهن عجزه ولا يبقى على جدار الذاكرة غير الشرخ .

الأهرام المسائى

١٩٩٢

الباركاديللو

صمت الشوارع فى الليل دوما خنجر فى قلب الغرباء ، والليلة الحزن بلا نهاية يهدر داخلى بأمواج الألم المتتابع ، يلقينى فى أودية الشجن الموروث .. أعرف مر التجربة جيداً منذ تحولت علامة عنخ فى يدى إلى صليب بامتداد مساحة الروح ، فلماذا تهرب أيها المطعون إلى جنة طاعنيك ؟ «فى آخر لقاء ارتعشت زهرتى البرية حين هممت بتقبيلها وقذفت بعينيها إلى أعلى نحو عش خال من طائريه .. سألتنى بصوت واهن : لماذا توقف غناء الباركاديللو داخل شرفتى الوردية .؟ قلت الأقفاص الذهبية لا تصنع طائراً سعيداً اردفت : لكننى أعشقه وأطعمه بيدى كل صباح .. قلت : الخبز ليس بديلاً عن الحرية استفسرت فى حزن : ترى هل سيموت .؟ أطرقت صامتًا ، احتضنت عيناى البقعة المفروشة بزهر البونسيانا العجوز .. وتابعت عن بعد طائراً يجاهد فى عبور النهر ويسافر نحو المجهول ..» .

الكلاب والصمت وشرطى الدورية الهزيل هم الرفقاء دوما فى ليالى الحزن .. الأيام يباب والكل يهرب من السفينة الغارقة فلم ترفض الرحيل عن أرض النهر المنحسر .؟ مستطيلات الضوء الخافت تختفى مع الاقتراب من العمارة المنشودة والمشهد الليلى المتكرر ليس فيه جديد سوى ازدياد موجة البرد وشلال الألم .. ألقى بالنظر المتعب إلى أعلى ،

تبدو كما كل ليلة الشرفة مظلمة بلا أقفاص ، يرتد البصر خاسئًا إلى أسفلت الطريق ، أخطو بانكسار نحو نهاية الشارع وفي منتصف التقاطع أسأل نفس السؤال .. ترى هل مات (الباركاديللو) أم رحل مع صاحبته إلى المنزل الآخر ؟

مجلة الرافعي

١٩٩٦

زهرة الليل

لف الصمت الحجرة الكبيرة ، اعتدل قليلاً بظهره إلى الوراء ، استرق السمع إلى تتابع الأنفاس البطئ ولما أيقن باستسلام الجميع للنوم أزاح الغطاء ، أخرجها من الكوب الزجاجي مبللة بالماء .. تلمس بخطى وئيدة الطريق نحو الباب . لفظته الظلمة إلى الخارج .

فى الممر الطويل الصامت تابع في سيره مستطيلات الضوء الخافت ، رفعها إلى أنفه فوجدها مازالت تحتفظ بعطرها الصباحى .. هبط بها واجتاحه شعور مفاجئ بالسعادة وهو يتخيلها تضعها على صدر البالطو الأبيض بعد أن تأكله بقبلة كبيرة يمشى بعدها نشوانا .. عند نهاية الممر انحرف يساراً فتسللت رائحة اليود ومواد التعقيم إلى أنفه هو يعرف جيداً أنها تتناوب العمل ليلاً يومين بالأسبوع مع زميلة لها .. وفى صباح الأيام الأخرى تعبر الممر كل صباح وترد عليه قائلة : صباح الخير ياعسل .. حين يصلها صوته بتحية الصباح من داخل عنبر القلب .. لاشك أنها تحبه وتؤثره عن بقية نزلاء العنبر وإلا ما كانت تداعب خصلات شعره وتضمه إليها بشدة وتقبله حين يسرق نفسه من الجميع ليلاً ويذهب إليها فى غرفة السهر .

المسافة لم تعد كبيرة لكن خطوات أقدامه الصغيرة مازالت تتحرك بحذر فوق مربعات «الباركيه» اللامعة .. فى الصباح غافل الجنايني

وقطف زهرة من الحديقة أخفاها عن الجميع داخل كوب زجاجي ملأه بالماء حتى لا تموت وأصر داخله أن تكون هديته لها الليلة ، عند مدخل الغرفة كان الظلام يملأ المكان غير أن بصيصا من الضوء كان ينسرب من تحت عقب الباب ، اقترب متعجبًا فساعات السهر لم تنته بعد .. اقترب أكثر وألصق أذنه ، سمع آهات خفيفة وحفيف أثواب وبعض الهمس .. حرك الباب قليلاً فتسلل بعض الضوء للمكان أمعن النظر في زاوية الغرفة وعلى الضوء الخافت للأباجورة الصغيرة لمح ظلاً متوحداً لاثنين .. دقق فيه أكثر فعرف وجهها الأبيض الدائرى مستكينا بين يدى رجل عرف فيه ملامح الطبيب الجديد .. فى هدوء أعاد غلق الباب وانسحب مهمومًا تزكم أنفه رائحة اليود النفاذة .. عند أول مصباح بالممر بحث عن سلة مهملات وتركها تسقط إلى القاع المظلم .

أخبار الأدب

١٩٩٣

غنــاء

هواء الهـزيع الأخـيـر من الليل منعش محـمل برطوبة ، خطواتـهم البطيئة المتجهة نحو النهر تجرح أديم الأسفلت الممتد بلا عابرين وأياديهم تنوء بحمل النسخ المربوطة بخيـوط الدوبارة السميكة .. قبل الرحيل لم يزدهم الاتصـال الهـاتفي الثـالث ، المحـمل بلهـجـة التـهـديد لوقف الطبع سوى الإصرار على أن يكونوا .

عند النهر أيقظوا العجوز وألقوا حملهم فى المنتصف وأجسادهم على الأطراف .. تحرك القـارب نحـو الضـفـة الأخرى ، مع قـدوم الهـواء المحمل بالندى فتحوا أبواب صدورهم وتنهدوا .. نحو المدينة المسترخية فى دعـة تحت صـدر الصمت راحت عـيـونهم المجهدة ترنو فى ألم ، بينما راح العـجـوز المعـتلى دفـة القـارب يدندن فى شـجـن للنهـر والأرض .. شخصوا بأبصارهم نحو مؤخرة القارب ومع العجوز رددوا فكان لغنائهم طعم وصدى .

* * *

مع تباشيـر الصـبـاح كـانت الأوراق تغطى الكورنيش والأسـفلت وجـدران المدينة .. والجـهـات المسئولة تبـحث عن ثلاثة أيقظوا الناس وأزعجوا السلطات بغنائهم ليلاً عند النهر .

فى حضن العتمة

فى الشرفة ، لا أحد معى غير كوب من الشاى وخيط طويل متحرك من النمل فوق الحافة الأسمنتية ، وملصق بصدر الجدار عليه صورة للأقصى وأربع كلمات «قاطعوا المنتجات الأمريكية واليهودية» .

فى براح الأفق القريب تصنع هوائيات التلفاز والأطباق لوحة سريالية متنافرة .. غير بعيد خمس حمامات يحلقن فوقى ويرسمن فى الضوء الخير من وقت لآخر أشكالاً متناغمة تهز القلب ، يحركهن صفير متقطع جميل لصبى يعتلى برجا صغيراً من الخشب البغدادلى وإن كان يبدو فوقه ضئيلاً فى ضى الغروب .. وفى المواجهة على حبل غسيل وحيد فستان سماوى صغير ترف له العين كلما ملأه الهواء وحركه النسيم لأعلى .

ينحشر الرأس بين شيش الشرفة وحافة الأسمنت ، تمتد الساقان فى تخاذل إلى الكرسى المواجه .. يأتى السؤال مراوغًا إلى عمق العينين الصامتتين .. هل نسيت حلمك «شروق» يزداد انحشار الرأس بين الخشب والأسمنت حتى يؤلمها صلابة طرطشة الملاط الخشنة فى الجدار الخلفى ، يخرج الزفير محملاً بشئ من الحزن . تأتى من عمق الصدر عبارة الرد لاهثة ملفوفة بالأسى : كيف تأتى مع قسوة الأهل وغفلة الوطن ..؟

شيئًا فشيئًا تهرب الخيوط الحمراء وتحل محلها بعض العتمة ، وفى الصدر مازالت تنمو هواجس من سكون موحش .. شئ مؤلم وعجيب أن تختار بين عزلة اختيارية أو ضياع إرادى .. يخفت النسيم تدريجيًا حتى يسكن ، وعلى شاشة العين المرهقة تصطدم حمامة من الخمس فى طبق الدش غير البعيد فتهوى على السطح الأسمنتى بعد أن يصنع دم الجرح شكلاً يشبه خريطة لوطن .. ينفرط السرب الصغير ، تطير الحمامات فرادى صوب المغيب .. يصبح الصفير المتقطع حزينًا ، يخفت شيئًا فشيئًا مع جلوس الصبى متكومًا بجوار البرج الصغير الذى لفته العتمة .. فى الشرفة المقابلة تنزع الفستان الصغير بعد أن غاب عنه النسيم ، تصرخ فى صاحبته أن تصمت وتلعن أباها المسافر والزمن الذى رماها عليه ثم تغلق النافذة بشدة .. أدرك جيداً أنه لم يعد هناك ضوء أمامى يساعدنى على الرؤية الواضحة .. أتحرك نحو الداخل متحسسًا الجدران بحثًا عن مفتاح النور .

جريدة المساء

٢٠٠٢

فهرس

صفحة

الكاتب

- أيمن على الخراط .
- ولد عام ١٩٦٤
- تخرج فى كلية الآثار - جامعة القاهرة عام ١٩٨٦
- يعمل مفتشًا للآثار الإسلامية بالمجلس الأعلى للآثار .
- نشرت قصصه فى : الشاهد ، الكويت ، المساء ، إبداع ، الأهرام المسائى ، القصة ، الثقافة الجديدة ، أخبار الأدب .
- تحت الطبع مجموعة قصصية بعنوان «وجع المحطات» .

صدر من الكتاب الأول

العنوان	النوع	المؤلف
١ - صحراء على حدة	قصص	عاطف سليمان
٢ - دراسة فى تعدى النص	نقد	وليد الخشاب
٣ - حدث سرا	قصص	أمينة زيدان
٤ - رسوم متحركة	شعر	صادق شرشر
٥ - ليس سواكما	شعر	عبد الوهاب داود
٦ - احتمالات غموض الورد	شعر	طارق هاشم
٧ - تدريبات على الجملة الاعتراضية	قصص	مصطفى ذكرى
٨ - كلوديوس	مسرحية	محمد السلامونى
٩ - مسرحيتان من زمن التشخيص	مسرحية	محسن مصيلحى
١٠ - لبيكن	شعر	هدى حسين
١١ - أحلام الجنرال	مسرحية	محمد رزيق
١٢ - حفنة شعر أصفر	قصص	محمد حسان
١٣ - يستلقى على دفء الصدف	شعر	عطيه حسن
١٤ - النيل والمصريون	دراسة	حمدى أبو كيله
١٥ - الأسماء لاتليق بالأماكن	شعر	عزمى عبد الوهاب
١٦ - العفو والسماح	قصص	خالد منتصر
١٧ - ناقد فى كواليس المسرح	دراسة	مصطفى عبد الحميد
١٨ - أطياف شعرية	نقد	عبد الله السمطى
١٩ - أنا	نصوص	غادة عبد المنعم
٢٠ - سارق الضوء	قصص	ليالى أحمد
٢١ - رجع الأصداء	نقد	جليلة طريطر
٢٢ - شروخ الوقت	شعر	ماهر حسن
٢٣ - أغنية للخريف	قصص	عاطف فتحى
٢٤ - بائع الأقنعة	مسرحية	صلاح الوسيمى
٢٥ - بائع الأقنعة	قصص	شوقى عبد الحميد
٢٦ - كوجهك حين ارتحال الصباح	شعر	خالد حمدان
٢٧ - وشيش البحر	رواية	أمانى خليل
٢٨ - ناصية سليمان	قصص	مجدى حسنين
٢٩ - أغنية الولد الفوضوى	شعر	محمود المغربى
٣٠ - سؤال فى الوقت الضائع	قصص	مدحت يوسف

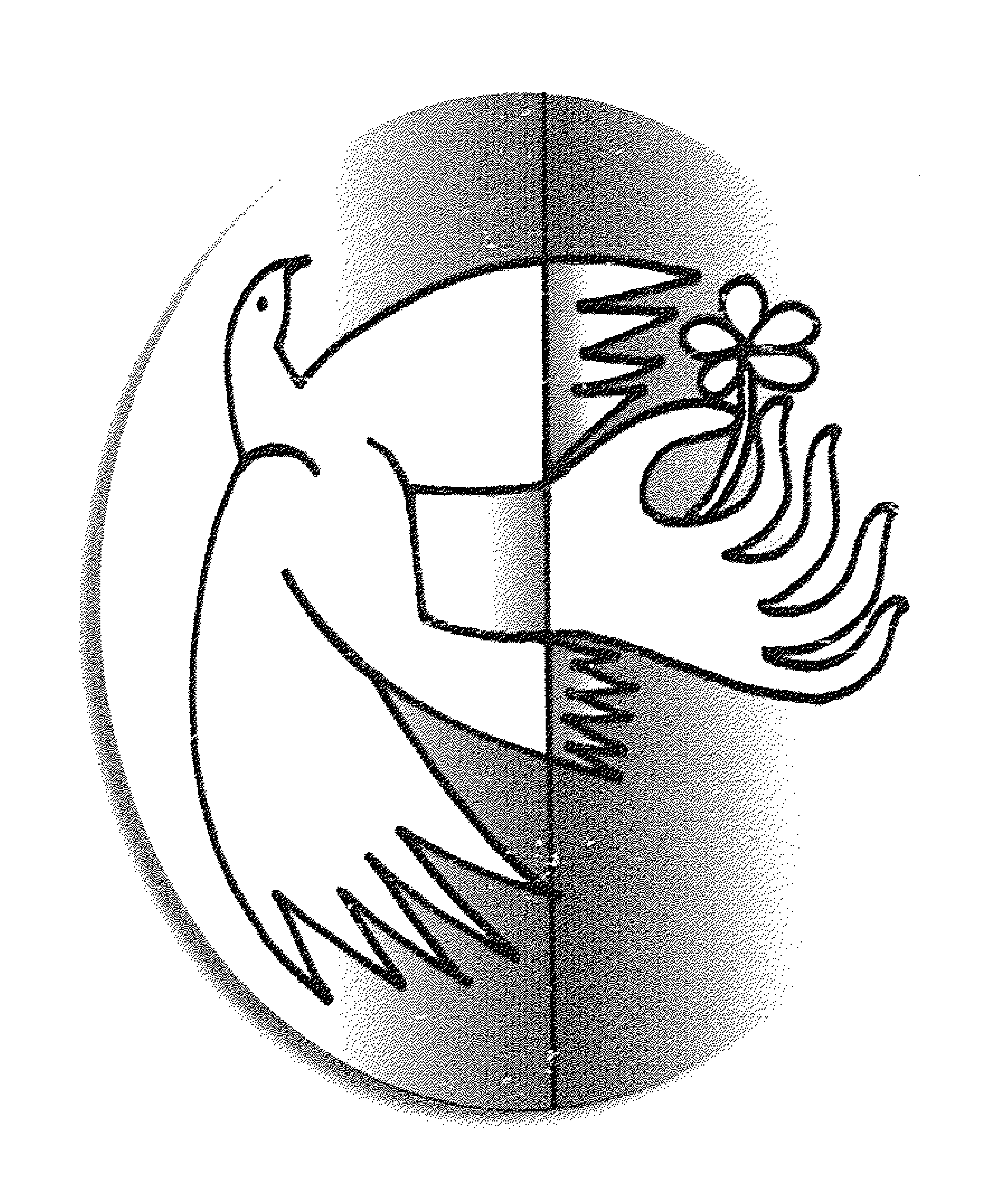
٣١ - كرحم غابة	شعر	خالد أبو بكر
٣٢ - الآخر	مسرحية	ياسر علام
٣٣ - جمر الأصابع	شعر	أشرف يونس
٣٤ - سقوط ثمره وحيدة	قصص	حسن صبري
٣٥ - أمسيات عائلية	شعر	سعيد أبو طالب
٣٦ - ملامح وأحوال	نقد	ناصر عراق
٣٧ - كتابة الصورة	نقد	محمد مختار
٣٨ - نتاج الخسوف	مسرحية	ناصر العزبي
٣٩- عناصر الإضحاك في مسرح بديع خيري	نقد	محمد زعيمة
٤٠ - أولى أول	حكايات	محمد ناصر
٤١- وهج الكتابة	نقد	حسام [illegible]رقيبة
٤٢- البنت مصرية	قصص	مصطفى الشافعي
٤٣- قبل اكتمال القرن	رواية	ذكرى نادر
٤٤- تجري بسرعة فائقة	شعر	سحر سامي
٤٥ - تفكيك الرواية	نقد	فتحي أبو رفيعة
٤٦ - نفس طويل	قصص	راندا طه
٤٧ - الميتامورفوسيس في المسرح الحديث	نقد	مروة مهدي
٤٨ - في السنة أيام زيادة	شعر	جمال فتحي
٤٩ - ماتحاولش	مسرحية	مصطفي سعد
٥٠ - الفن الفطري في مصر	نقد	ضحى أحمد
٥١ - كائن خرافي غايته الثرثرة	شعر	نجاة علي
٥٢ - لون هارب من قوس قزح	رواية	منى الشيمي
٥٣ - الشرك	قصص	ليلى الرملي
٥٤ - رغبات	قصص	فارس سعد
٥٥ - لن تدرك سرك	رواية	أحمد عادل القضابي
٥٦ - حاجات تانية	شعر	محمد عبد الحميد دغيدي
٥٧ - خازنة الماء	شعر	فتحي عبد السميع
٥٨ - قص ولصق	قصص	مجدي عبد الهادي
٥٩ - عيون سمارة	أوبريت	فرغلي مهران
٦٠ - السير نحو نقطة مفترضة	نقد	محمد أحمد العشيري
٦١ - وخز كان	قصص	أحمد كمال زكي
٦٢ - أثر الأعمال الأدبية في الملتقى	نقد	فاطمة فوزي

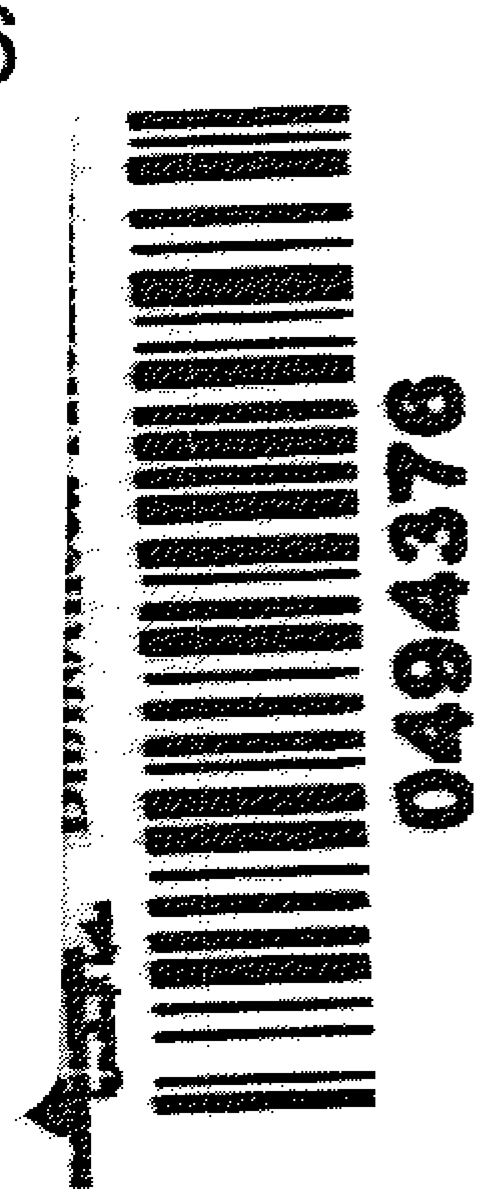
٦٣ - الروائيون المصريون الجدد	نقد	أحمد الشريف
٦٤ - مذكرات دوناكيشوته	قصص	أمنية طلعت
٦٥ - أنساق اللغة المسرحية	نقد	حاتم حافظ
٦٦ - تغييرات فنية	قصص	نائل الطوخي
٦٧ - محاورات الضوء والظل	نقد	عبد الغني السيد
٦٨ - النقد المعاصر للفكر السياسي	نقد	أشرف منصور
٦٩ - لونه أزرق بطريقة محزنة	قصص	محمد صلاح العزب
٧٠ - أغنية [illegible] الحزين	قصص	أيمن الخراط



طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

رقم الإيداع ١١٩٩٥ / ٢٠٠٣




04943376


المجلس
الأعلى
للثقافة